شـــق وسطيح

وابن خلدون والقرآن والعربانيون

لأستاذ جليل

طالعتُ في شبابي الجزء الأول من (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر) وهو المعروف عند الناس بمقدمة ابن خلدون . وقد وعيتُ يومئذ مباحثه ، وقيدت الذاكرة ما استطاعت من فوائده — وإنها وأبيك لكثيرة — ثم فرّ جلّها ، وقرّ بعضها و « اختلافُ النهار والليل يُنسى[1] » كما يقول شاعرنا (أحمد الثالث[2]) . فلما قرأت في مقالة (التنويم المغناطيسي وقراءة الأفكار في القديم) في (الرسالة) الهادية الموقظة هذه الجملة : « ولابن خلدون بحث عن الكهانة خذله فيه التحقيق » تذكرتُ كتاب عبد الرحمن ، ورجعت إليه أنشد حديثه عن الكهانة والكهان . وذهبت أتلوه تلاوة المتبصر ، فلما تممته لم أتمالك أن كررت عبارة تلك المقالة : « ... خذله فيه التحقيق » فقد ألفيتُ العبقري الألمعي إمام الباحثين الناقدين ، ومعلم مغالط المؤرخين قد جرّه الضلال بجرير[3] طويل ، وقاده الوهم والخيال قَوْدَ الذلول ، فتقيّل — مطمئن النفس — شعبذات الكهانة ومخارق العرافة وخزعبيلات[4] العائفين ، وآمن بشق وسطيح . وهذه طائفة مما قال :

« إنّا نجد في النوع الإنساني أشخاصاً يخبرون بالكائنات قبل وقوعها مثل العرّافين والناظرين في الأجسام الشفّافة كالمرايا وطساس[5] الماء ، والناظرين في قلوب الحيوانات وأكبادها وعظامها ، وأهل الزجل في الطير والسباع ، وأهل الطَّرْق بالحصى والحبوب من الحنطة والنوى . وهذه كلها موجودة في عالم الإنسان لا يسع أحداً جحدُها ... »

« إن للنفس الإنسانية استعداداً للانسلاخ من البشرية إلى الروحانية التي فوقها ، وإنه يحصل من ذلك لمحة للبشر في صنف الأنبياء »

« وإن هنا صنفاً آخر من البشر — يعني الكهان — ناقصاً عن رتبة الصنف الأول — يعني الأنبياء — »

« وهذه القوة التي فيهم مبدأ لذلك الإدراك هي الكهانة »

« ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على المغيبات »

« ثم إن هؤلاء الكهان إذا عاصروا زمن النبوة فإنهم عارفون بصدق النبي لأن لهم بعض الوجدان من أمر النبوة »

« قد كان العرب يفزعون إلى الكهان في تعرُّف الحوادث ، ويتنافرون إليهم في الخصومات ليعرفوهم بالحق فيها من إدراك غيبهم ، وفي كتب الأدب كثير من ذلك . واشتهر منهم في الجاهلية شق بن أنمار وسطيح بن مازن ، وكان يُدرج[1] كما يُدرج الثوب ، ولا عظم فيه إلا الجمجمة ... ومن مشهور الحكايات عنهما تأويل رؤيا ربيعة بن نصر وما أخبراه به من ملك الحبشة لليمن وملك مضر من بعدهم وظهور النبوة المحمدية في قريش . ورؤيا الموبذان[2] التي أوّلها سطيح لما بعث إليه بها كسرى عبدَ المسيح فأخبره بشأن النبوة وخراب ملك فارس . وهذه كلها مشهورة ، وكذلك العرافون كان في العرب منهم كثير وذكروهم في أشعارهم »

فهناك عند ابن خلدون الكهانة تعلم الغيب ، وهي نبوة ناقصة ، وهناك الكاهن كأنه مرشح نبي ... وقد قال في تضاعيف كلامه متبجحاً على المسعودي بعلمه وتحقيقه : « وقد تكلم عليها المسعودي في (مروج الذهب) فما صادف تحقيقاً ولا إصابة ، ويظهر من كلام الرجل أنه كان بعيداً عن الرسوخ في المعارف فينقل ما سمع من أهله ومن غير أهله »

ومن قول المسعودي في الكهانة في (المروج) :

« ذهب كثير أنّ علة ذلك علل نفسانية ، وأن النفس إذا

---

(١) والعجز : (اذكرا لي الصبا وأيام أنسي)

(٢) أحمد الأول هو أبو الطيب المتنبي والثاني هو أبو العلاء والثالث أحمد شوقي والثاني والثالث هما التلميذان الأكبران للأول ، ومن كبار تلاميذ المتنبي الشريف الرضي ، بيد أن المتنبية عنده قليلة

(٣) الجرير : الحبل

(٤) الخزعبل والخزعبيل : الباطل أو الأباطيل والخزعبلة : الأضحوكة

(٥) الطساس : جمع طسة مثل الطس لغة في الطست : إناء من نحاس لغسل اليد

(١) درجه : طواه ، لفه

(٢) الموبذان : (بضم الميم وفتح الباء وحكي فتح الميم أيضاً ، وحكي كسر الباء أيضاً) : فقيه الفرس وحاكم المجوس كقاضي القضاة للمسلمين (التاج)

قويت وزادت قهرت الطبيعة ، وأبانت للانسان كل سر لطيف ، وخبرته بكل معنى شريف ، وغاصت بلطافتها فى انتخاب المعانى اللطيفة البديعة فاقتنصتها ، وأبرزتها عن الكمال »

فإذا قال المسعودى مثل هـذا فزّل وضلّ فان ابن خلدون لم يهتد . وما حديث أحدهما بأصدق من حديث صاحبه . إنهما فى باب الكهانة والكهان سيّان

* * *

وشقّ وسطيح اللذان آمن بهما ابن خلدون ، وصدق كونهما وأسطورتيهما هذا بعض ما قيل فيهما :

قال الدميرى فى (حياة الحيوان الكبرى) :

« كان شقٌّ شقّ إنسان ، له يد واحدة ، ورجل واحدة ، وعين واحدة . وكان سطيح ليس له عظم ولا بنان ، إنما كان يطوى مثل الحصير ، وكان وجهه فى صدره ، ولم يكن له رأس ولا عنق »

وقال ابن منظور فى (لسان العرب) :

« سطيح هذا الكاهن الذئبي من بنى ذئب كان يتكهن فى الجاهلية ، سمى بذلك لأنه لم يكن بين مفاصله قصب تعمده ، فكان أبداً منبسطاً منسطحاً على الأرض لا يقدر على قيام ولا قعود ، ويقال : كان لاعظم فيه سوى رأسه »

وقال الثعالبي فى (ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب) :

« سطيح الكاهن كان يُطوى كما تُطوى الحصير ، ويتكلم بكل أعجوبة فى الكهانة ؛ وكذلك شق الكاهن ، وكان نصف إنسان »

وقال الزبيدى فى (تاج العروس) : « شق كاهن قديم معروف قاله ابن دريد ، وحديثه مستوفى فى الروض للسهيلى ، وإنما سُمى شقا لأنه ولد شقا واحداً ، وكان فى زمن كسرى أنو شروان »

وقال الشريشى فى (شرح المقامات الحريرية) :

« سطيح الغسانى أكهن الناس ، كان يُدرج جسده كما يدرج الثوب خلا جمجمة رأسه ، وإذا مُست باليد أثرت فيه لِلين عظمها »

وقد زلق قلم ابن خلدون فقال : « كان سطيح يدرج كما يدرج الثوب ، ولا عظم فيه إلا الجمجمة » وكأنه استحى أن يذكر أن شقا كان شقا : ذايد واحدة وعين واحدة ورجل واحدة ... فلم يعرّفه بحليته[1]

* * *

وأسطورتا هذين الكائنين العجيبين اللتان أشار إليهما ابن خلدون — ذكرها مؤرخون ضالون كثيرون ، وأدباء نا قلون غير محققين ، ومفسرون ومحدثون ، منهم ابن اسحق صاحب السيرة ، وابن عبد ربه فى العقد ، والماوردى فى أعلام النبوة ، والرازى فى مفاتيح الغيب ، وابن منظور فى اللسان ، وابن عربى فى محاضرة الأبرار ، والألوسى فى بلوغ الأرب وغيرهم . ومما قيل فى الأسطورة الأولى ، وهو من (سيرة) ابن هشام :

« إن ربيعة بن نصر ملك اليمن رأى رؤيا هالته ، فقال سطيح فى تأويلها : أحلفُ بما بين الحرّتين[2] من حنش ، لتهبطن أرضكم الحبش ، فلَيملكُنّ مابين أبينَ إلى جُرَش[3] . فقال له الملك : فمتى هو كائن ؟ أوفى زمانى هذا أم بعده ؟ قال : لا ، بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين . قال : أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟ قال : لا ، ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يُقتلون ويخرجون منها هاربين . قال : ومن يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم قال : يليه أرم بن ذى يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن . قال : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع . قال : ومن يقطعه ؟ قال : نبي زكيّ ، يأتيه الوحى من قبَل العلىّ . قال : وممن هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر . قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ، يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال : أحق ما تخبرنى ؟ قال : نعم ، والشفق والغسق ، والفلق إذا اتسق ، إن ما أنبأتك به لحق »

وقال شق للملك مثل قول سطيح

---

(١) الحلية : الهيئة

(٢) الحرة من الأرضين الصلبة الغليظة التى البستها حجارة سود نخرة والجمع حرات وحرار (اللسان) والحرات فى (الجزيرة) كثيرات

(٣) أبين مخلاف باليمن منه عدن وقال عمارة الشاعر أبين موضع فى جبل عدن . وجرش من مخاليف اليمن من جهة مكة (معجم البلدان)

ومما جاء فى الأسطورة الثانية : « أن الموبذان رأى رؤيا أفزعت كسرى فسئل عنها عبد المسيح بن عمرو بن نفيلة الغساني فقال : عِلمُ هذا عند خالى سطيح . قيل : فأنه وسله وأت بجوابه . فقدم على سطيح ، وقد أشفى على الموت فقال (أرجوزة) مطلعها :

أصم أم يسمع غطريف اليمن ؟ يا فاصل الخطة أعيت من ومن

فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه فقال : عبدالمسيح ، على جمل مشيح ، إلى سطيح ، وقد أوفى على الضريح . بعثك ملك بنى ساسان ، لارتجاس الايوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان . رأى إبلا صعاباً ، تقود خيلا عراباً ، قد أقحمت فى الواد ، وانتشرت فى البلاد . يا عبد المسيح ، إذا كثرت التلاوة ، وبعث صاحب الهراوة ، وفاض وادى السماوة ، وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس فليست بابل للفرس مقاماً ، ولا الشام لسطيح شاما . يملك منهم ملوك وملكات ، على عدد الشرفات ، وكل ما هو آتٍ آت »

* * *

ذانك شق وسطيح ، وتانك أسطورتاهما . والإسلامية غير مفتقرة إلى إعلام كاهن ، وخبر عرّاف . إن ضياء الشمس مستغن عن شهادة (الدساسة[1]) وهذا قول الاسلامية فى الكهانة والغيب :

فى الحديث : « من أتى كاهناً أو عرّافاً فقد كفر بما أُنزل على محمد ، أى من صدقهم[2]

« من أتى عرّافاً فسأله عن شىء لم يُقبل منه صلاة أربعين ليلة »

« نُهى عن حلوان الكاهن » أى أجرته . وفى (النهج) :

« أيها الناس ! إياكم وتعلُّم النجوم إلا ما يُهتدى به فى بَرٍّ أو بحر فانها تدعو إلى الكهانة ، والمنجم كالكاهن[3] »

قال الشيخ محمد عبده فى شرح هذا الكلام : « الكاهن من يدعى كشف الغيب ، وكلام أمير المؤمنين حجة حاسمة لخيالات المعتقدين بالرمل والجفر والتنجيم وما شاكلها ، ودليل واضح على عدم صحتها ومنافاتها للأصول الشرعية والعقلية »

(١) الدساسة : دويبة لا ترى شمساً إنما هى مندسة تحت التراب أبدا (الأساس)

(٢) قال ابن الأثير : والحديث الذى فيه من أتى كاهناً قد يشتمل على اتيان الكاهن والعراف والمنجم

(٣) الاسلامية تؤيد معنى هذه الأحاديث الواردة هنا ، وتؤيد قول النهج — وهو من كتب إخواننا الامامية — وإن لم تصح النسبة للرسول وصاحبه

وقال الشيخ محمد عبده فى (شرح مقامات الهمذانى) :

« ويروى لنا من شعره ما يمتزج بأجزاء النفس رقة ، ويغمض عن أوهام الكهنة دقة — أراد بالكهنة أصحاب دعوى علم النجوم وأسرارها . واستطلاع المغيبات مما تفيضه أرواحها . وقد جاء الدين الاسلامى بتكذيبهم والنهى عن الاشتغال بمذاهبهم فى أوهامهم غير أنه بقى ذكرهم فى الكلام من قبيل ضروب الأمثال »

وقال ابن أبى الحديد فى الشرح الكبير للنهج : « إن المعلوم ضرورة من دين رسول الله إبطال حكم النجوم وتحريم الاعتقاد بها ، والزجر عن تصديق المنجمين »

وابن خلدون الذى آمن بالكهانة قد كفر بالنجامة وفنّد مقالة النجامين أو المنجمين فى فصل طويل فى كتابه — تفنيداً :

متكهّن ومنجم ومعزِّم وجميعُ ذاك تخيُّل لمعاش[1]

* * *

نجىء إلى الغيب

فى (مسند الربيع بن حبيب) :

« عن عائشة : من زعم أن محمداً يعلم مافى غد فقد أعظم على الله الفرية ، لأن الله تعالى يقول : « قُلْ لا يعلم من فى السموات والأرض الغيبَ إلا الله[2] وما يشعرون أيان يُبعثون »

وفى (كتاب الله) :

« قُلْ لا أقولُ لكم عندى خزائنُ الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول إنى ملك ، إنْ أتبعُ إلا ما يوحى إلىّ »

« ولا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول إنى ملك »

« قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ، ولو

(١) أبو العلاء ، عزم الراقى وعزم — بالتشديد — قرأ التزائم

(٢) فى (رسالة الغفران) لأبى العلاء أحمد بن سليمان : « وأما الحكاية عن أصحاب الحديث أنهم صحفوا رخة فقالوا : رخمة فلا أصدق بما يجرى مجراها ، والكذب غالب ظاهر ، والصدق خفى متضائل ، وكذلك ادعاء من يدعى أن علياً (عليه السلام) قال تهلك البصرة بالزنج فصحفها أهل الحديث بالريح ، لا أومن بشىء من ذلك . ولم يكن على (عليه السلام) ممن يكشف له الغيب ، وفى الكتاب العزيز (لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله) وفى الحديث المأثور : لا يعلم مافى غد إلا الله) ولا يجوز أن يخبر مخبر منذ مئة سنة إن أمير حلب (حرسها الله) فى سنة أربع وعشرين وأربعمائة — اسمه فلان بن فلان ، وصفته كذا ، فان ادعى ذلك مدع فانما هو متخرص كاذب »

كنتُ أعلم الغيبَ لاستكثرتُ من الخير وما مسنى السوء ، إنْ أنا إلا نذيرٌ وبشيرٌ لقوم يؤمنون »

« عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحداً ، إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رَصَداً ليعلمَ أن قد أبلغوا رسالاتِ ربهم ، وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً »

قال الكشاف : « أى هو (عالم الغيب) فلا (يظهر) فلا يطلع و (من رسول) تبيين لمن ارتضى ، يعنى أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى ، وفى هذا إبطال للكرامات لأن الذين تضاف إليهم — وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل ، وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب . وإبطال الكهانة والتنجيم لأن أصحابها أبعد شيء من الارتضاء وأدخله فى السخط (فانه يسلك من بين يديه) يدى من ارتضى للرسالة (ومن خلفه رصداً) حفظة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ، ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يُبلّغ ما أوحى به إليه (ليعلم) الله (أن قد أبلغوا رسالات ربهم) يعنى الأنبياء ليبلغوا رسالات ربهم كما هى محروسة من الزيادة والنقصان »

والغيب فى كلام الله هو الوحى ، وحى النبوة كما قال الزمخشرى: (حتى يبلغ ما أوحى به إليه) لا كل غيب كما يظهر من كلام (الكشاف) في أول تفسيره . وقد جاء فى (فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير) : « وهو ما يتعلق برسالته كالمعجزة وأحكام التكاليف وجزاء الأعمال وما بينه من أحوال الآخرة لا ما يتعلق برسالته من الغيوب كوقت قيام الساعة ونحوه » وجاء فى (جامع البيان) — وهو تفسير ابن جرير الطبرى : « فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فأعلم الله (سبحانه) الرسلَ من الغيب الوحى ؛ أظهرهم عليه بما أوحى إليهم من غيبه ، وما يحكم الله فانه لا يعلم ذلك غيره . قال ابن زيد : « ينزل من غيبه ما شاء على الأنبياء ، أنزل على رسول الله الغيبَ القرآنَ ، وحدثنا فيه بالغيب ، بما يكون يوم القيامة »

وفى (موضوعات على القارى) :

« قد جاهر بالكذب بعض من يدعى العلم فى زماننا وهو متشبع بما لم يعط أن رسول الله كان يعلم متى تقوم الساعة . وهؤلاء الغلاة عندهم أن رسول الله منطبق على علم الله سواء بسواء ، فكل ما يعلمه الله يعلمه رسوله ، والله تعالى يقول : (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مَرَدوا على النفاق لا تعلمهم ، نحن نعلمهم ؛ سنعذبهم مرتين ثم يُردُّون إلى عذاب عظيم) وهذا فى (براءة) وهى من أواخر ما نزل من القرآن . هذا والمنافقون جيرانه فى المدينة »

فاذا كان صفوة النوع الانسانى ، وسيد المرسلين والنبيين والمعظيمين هو كما قال الله ، فهل يعلم الغيب رسول أو نبى أو صحابى أو (ولى) أو (غوث) من الأغواث أو (قطب) من الأقطاب أو (بدل) من الابدال أو كاهن أو منجم أو دجال أو شق أو سطيح أو سقط أو مليص [1] ؟

أين عقول الناس ؟ أين عقول الباحثين ؟

* * *

وحديث الكاهنين (شق وسطيح) يبعثنا على أن نختم القول فيه بهذه السطور :

أسلوب القرآن هو أسلوب المبتدِع ، لا أسلوب المتبع ، والدليل الدينى أنه وحى الله ، والبرهان العقلى أنه الكتاب العبقرى ، والعبقرى فى الدنيا مقلَّد لا مقلِّد ، ومتبوع لا تابع . قال أبو العلاء احمد بن سليمان فى (رسالة الغفران) :

« أجمع ملحد ومهتد ، وناكب عن المحجة ومقتد ، أن هذا الكتاب الذى جاء به محمد بهر بالإعجاز ، ما حُذى على مثال ، ولا أشبه غريب الأمثال . ماهو من القصيد الموزون ولا الرجز ، ولا شاكل خطابة العرب ولا سجع الكهنة ، وجاء كالشمس اللائحة (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون [2]) وإن الآية منه أو بعض الآية لتعترض فى أفصح كلام يقدر عليه

(١) شق — فى اللغة — جنس من أجناس الجن ، والشق من كل شيء نصفه إذا شق ، والسطيح الذى يولد ضعيفاً لا يقدر على القيام والقعود ، والسطيح المستلقى على قفاه من الزمانة . والسقط — مثلثة — الولد لغير تمام وأمه مسقط ، والمليص الذى ألقته أمه مضغة وهي مملس ، ولولا اقتصاد من صاغ حكاية شق وسطيح فى الجنث لسمى صاحبيه سقطاً ومليصاً فجاء بعده مؤرخون وراوون يقولون : قال سقط ، حدث مليص...

(٢) قبله : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله)

المخلوقون فيكون فيه كالشهاب المتلألئ في جنح[1] غسق »

وقال أبو بكر محمد بن الطيب البلاقلاني في كتابه (إعجاز القرآن) :

« إن نظم القرآن على تصرُّف وجوهه واختلاف مذاهبه ، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم — يعني العرب — ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ، ويتميز في تصرفه »

ذلك هو (الكتاب) وذلك — كما قال هذان الإمامان — أسلوبه ، وقد أقبلت (أوأدبرت) طائفة من العربانيين — أعني المعروفين بالمستشرقين — تقول : (ليس أسلوب القرآن مبتدعاً وإنما قلد فيه سجع الكهان) وتلقف قولهم أو تخليطهم — جاهلين عَمِهين — متلقفون

وقد قالت تلك الطائفة الغربية مقولتها وأمّتها من العربانيين المحققين يقولون كما قلتُ قِدْما وأقول اليوم : إنه لم يثبت من منثور الجاهلية شيء ، فكيف اهتدت الفئة الضالة إلى أصل الأسلوب القرآني ؟ وإلامَ استندت ؟ وعلام بنت مزعمها ؟ ؟

إن كان هاديَ القوم شق وسطيح وخُنافر الحميري وسَواد ابن قارب وطَريفة وعُفيراء وأمثالهم من الكاهنين والكواهن وكانت الحجة تلكم الأساجيع — فقد ضلّ هاديهم ، وأودى الدليل .

إن سجع الكهان إنما قلد مفتعلوه في الاسلام نهج القرآن كما كان يقلده المخرق (المختار بن عُبيد الثقفي) الكيساني . والقرآنُ — كما قال ابن خلدون — لا يقلَّد ، فكان سجع الجماعة ذاك الكلام البهرج[2]

وإن القوة التي أبدعت في العربية ذلك (الكتاب) وأخرجت من العرب تلك الأمة فإن القوة التي فطرت من العدم وجوداً ومن العربية (قرآناً) ومن العرب أولئك (الأصحاب) صفوة الناس وجوهر البشرية — هي ربة ذلك الأسلوب

إن نهج القرآن هو نهج المبْدِئ المبتدع ، لا طريق المقلِّد المتبع ، وإنه لَوَحْيُ الله ، وإنه لكتابُ الدهر

القارئ

(١) الجنح — بالكسر ويضم — : الطائفة من الليل

(٢) البهرج : الرديء . في (اللسان) : قيل هي كلمة هندية أصلها بيهله وهو الرديء فنقلت إلى الفارسية فقيل بيهره ثم عربت بهرج

٣٩ . ١٠

ليلى المريضة في العراق

للدكتور زكي مبارك

— ١٥ —

إلى البصرة ، إلى البصرة ! إلى المدينة التي تجرى من تحتها الأنهار . إلى مهد ليلى يطيب الإسراء

ولكن لابدّ من السلام على ليلى قبل الرحيل ، فقد صبرت النفس عن لقائها ثلاثة أيام ، بسبب حادثة وجدانية لا أجرؤ على تدوينها في هذه المذكرات ، وهي حادثة ضجّت لها أرجاء العراق ؛ ولكن لاموجب لتدوينها ، لأني أحب أن تموت وهي في المهد ، فقد تطويني طياً فأخرج من خدمة الحكومة المصرية وأفتح مكتب تصوير في بغداد ؛ وفي مصر رجل عظيم يعرف ما أعني ، ويفهم كيف تستطيع هذه الحادثة أن تهدم ما بنيت من آمال

وأشهد أني كنت أملك نسيان ليلى أسبوعاً أو أسبوعين ، ولكن وقع ما لم يكن في الحسبان

وتفصيل ذلك أني رجل محزون ، محزون ، محزون ، ولو شئت لكررتها ألف مرة ، ولكني من أقدر الناس على الفرار من أحزاني . ولعلي أشبه الرجال بالشاعر الذي يقول :

جنَت عليّ الليالي غير ظالمةٍ ... إني لأهلٌ لما ألقاه من زمني

فما رأيتُ من الأخطار عاديةً ... إلا بنيت على أجوازها سكني

ولا لمحتُ من الآمال بارقةً ... إلا تفحّمتُ ما تجتاز من دُفن

أحلْتُ دنياي معنًى لا قرار له ... في ذمة المجد ما شرّدت من وسن

ولكن أحزاني تحقد على تجلدي أبشع الحقد . فتجمع جيوشها وتهجم عليّ من حين إلى حين ، وقد انتصرتْ في هذا اليوم مع الأسف الموجع ، فلم أجد مفرًّا من السلام على ليلى ، علّها تجفف دموعي وتبرّد أحزاني

إليك يا ليلى المرجع ، وإليك يا ليلى المآب

* * *

دخلت على ليلى في العصرية لأقضي في رعايتها أربع ساعات إلى أن يحين الموعد لقطار البصرة فماذا رأيت ؟ ماذا رأيت من ليلى ربة العطف والحنان ؟